الجزء الأول

أولاً: آراء كبار علمائنا

obeikandl.com

obeikandl.com

١ - زويل والمنظور التفاوضى للقاعدة العلمية

شهد يوم الخميس الموافق ٢٠٠٥/٩/١٥ احتفاء عدد كبير من المصريين بكتاب عالمنا الكبير د.أحمد زويل بعنوان «عصر العلم». وهو كتاب من تقديم أديبنا الكبير نجيب محفوظ. إذن فهو ذلك الكتاب الفريد الذى وقعه اثنان من قمم الحائزين على جائزة نوبل فى العالم.. وهو يحتاج إلى عودة أخرى لتقديم قراءة فى محتواه الهام.

أما فى هذا المقال فسألقى الضوء على دلالات مشهد الاحتفاء بكتاب زويل، ثم نطل بعد ذلك على موضوع «القاعدة العلمية» ذلك الموضوع الذى يمثل أهم المصطلحات التى يتضمنها خطاب زويل الموجه للمجتمع المصرى.

فبخصوص دلالات مشهد الاحتفاء بكتاب زويل، نجد أن هناك عينة ممثلة للمجتمع المصرى قد توافدت حيث كان هناك كان حشدا من المثقفين والإعلاميين والدبلوماسيين وأساتذة الجامعات والشباب.. لقد أراد الجميع أن يرسل برسالة وكأنها «لابد أن نشارك فى ذلك الاحتفاء بالعلم وبهذا العالم الفذ».. وكأنها رسالة للتعبير عن ذلك الشوق العارم لدى هذه العينة الممثلة للمجتمع المصرى لإعادة الاعتبار للعلم والعلماء.. نعم لقد حان الوقت – وإن جاء متأخراً للغاية – لكى نضع العلم على قمة أولويات التحرك السياسى والمجتمعى فى المرحلة الراهنة والمقبلة لتحديث مصر والانطلاق بها إلى الآفاق التى تليق بهذا الوطن الغالى المعطاء دائما.. وإذا أشرنا إلى ذلك البعد المجتمعى وتفاعلات المجتمع المصرى مع ما يثيره التألق العلمى لعالمنا الكبير وما يثيره كذلك خطابه الموجّه للمجتمع المصرى، فإنه من الإنصاف الواجب أن نشير إلى المقدمة المتميزة للأستاذ أحمد المسلمانى، والتى وردت فى الكتاب بعد مقدمة زويل ومقدمة نجيب محفوظ وجاءت بعنوان «مقدمة المحرر» ، وهى تمثل جهدا مكثفا وأوليا للإحاطة بدلالات ما كتبه المصريون عن عالمهم الكبير أحمد زويل، وعن مداخلات لهم معه حول خطابه عن القاعدة العلمية.. وكذلك تضمنت تلك المقدمة بعض ما كُتب فى وسائل الإعلام الدولية عن زويل.. وأظن أن تلك المقدمة تعد بمثابة نواة جيدة لدراسة مستفيضة لتحليل مضمون ما كُتب عن أحمد زويل، خاصة فى إطار جميع ما كُتب.. وهنا سنجد عدة خطابات تحتاج إلى تناول دلالاتها بالتحليل ونحن فى سبيل فهم ما يمكننا وصفه بـ «الخطاب المصرى عن تفعيل القاعدة العلمية».

فلقد استمعت إلى د.زويل فى برنامج طويل فى ٢٠٠٥/٩/١٤ على إحدى القنوات الفضائية.. وأجده قد كرر من خلاله وباستياء (مستحق) أسلوب «التكسير

وهدم النجاح» وأن ذلك التكسير قد «أرهقه وتعب منه» .. وهنا إشارة واضحة لخطاب سلبى قد ترسخ مع الأسف فى تعاملاتنا الثقافية يمكننا تسميته بـ «خطاب التكسير»، كما تكررت مقولات أحمد زويل العديدة عن طبيعة الواقع المتقدم ومراكز الإشعاع العالمى، كما تكرر الخطاب عن الإعاقات أمام إنشاء وتفعيل مثل هذه المراكز، ولا شك ان من المهم أن تكون خبرة تفاعلات أحمد زويل مع خطابات البيروقراطية والجمود وعدم تفعيل القاعدة العلمية كما ينبغى موضع الدراسة والتحليل للاستفادة وللاستئناف.. أى استئناف الجهود لتفعيل القاعدة العلمية المصرية بالمستوى المطلوب للنهوض المستوجب.. ولكن لا يمكن أن تقتصر مثل هذه الدراسة على تفاعلات أحمد زويل فقط، فهناك عدد كبير من علماء مصر الأفذاذ من جميع التخصصات الذين صادفوا مثل تلك التفاعلات بصورة أو بأخرى وحاولوا التعامل معها.

لقد حـان الوقت ألا يكون أحمد زويل وحده فى ذلك الميدان، بل لابد أن يقدم علماء مصر صورة الأداء الجماعى الذى يعطى زخما وعمقا، لكى تكون أجندة العلم وتفعيل ما أسميه «بالقوة البحثية المصرية»، وليكن ذلك فى حركة جماعية مجتمعية جديدة أسميها من باب الطرافة «حركة علمائكم» .. وأتذكر هنا مقولة الإمـــام على بن أبى طالب ﷺ «لو خاطبنى عالم لغلبته ولو خاطبنى جاهل لغلبنى».. وهنا أنظر بنظرة من الاندهاش وأمام سطوة جهل نصوص البيروقراطية المصرية التى كان لها «الضربة القاضية» فى إفشال مشروع زويل إلى الآن ومن الجولة الأولى. فلقد ثبت أنه لم ينفع مع هذه البيروقراطية الطاغية كل إنجازات زويل وكل إنجازات علماء مصر من قبله.. بل كان لحركة البيروقراطية أكبر الفضل فى وجود ما يزيد على سبعمائة وخمسين ألفا.. أى ما يقرب من ثلاثة أرباع مليون مصرى من العلماء والباحثين الذين يقومون بأهم أعمال التنمية فى أوربا وأمريكا والدول الغربية.. إنها قوة بحثية استطاعت الإسهام فى قيادة قاطرة التنمية فى دول العالم المتقدم.. ولكن شتتها تحالف حركة البيروقراطية مع كل عوامل «الطرد المركزى» إلى خارج الوطن.. ومعها ساهمت تلك «الحركة» البيروقراطية وحلفاؤها من تكبيد مصر خسارة فادحة مع كل الأسف قدرت من خروج هذه القوة الكبيرة بما يقدر بمائتى مليار جنيه مصرى، وهذه الأرقام مدونة من مصادر لها معقوليتها أوردتها إحصائيات أخرى فى كتاب لى بعنوان «الدور المصرى وتحديات المستقبل» .. لقد ذكر د.زويل فى البرنامج التليفزيونى شيئا طريفا يدل على البساطة الإدراكية القاتلة التى تستخدمها «حركة» البيروقراطية والمخضرمين فى إدارتها.. حينما قالوا له ما معناه «أهلا بسيادة العالم الكبير.. نحن نحبك ونحترمك.. ونعطى لكم قطعة أرض

كبيرة لتقيموا عليها مشروعكم العلمى وعليكم أنتم الباقى.. التمويل والفلوس وبناء المشروع» .. وانتهى الأمر بهذه الضربة القاضية «البسيطة خالص» .. وهو الأمر الذى علق عليه د.زويل بأنه ليس تاجرا ولا يستطيع القيام بذلك.. إنه يستطيع فقط إعطاء عطائه العلمى وحشد الطاقات العلمية وتفعيل خلايا «مراكز التفوق»، لكى تنتقل من خلالها مصر نقلة نوعية نحو آفاق التقدم. إنه ليس مشروعا يحتاج «حتة أرض وخلاص.. وشوف حالك ياسيد.. أو فوت علينا بكره» .

لقاء مع العالم الكبير :

فى مارس عام ٢٠٠١ تلقيت دعوة طيبة من سفيرنا حلمى بدير، سفيرنا فى الرياض، لحضور حفل غداء أقامته سفارتنا فى الرياض تكريما لعالمنا الكبير أحمد زويل الذى كان فى زيارة للرياض، وكنت متواجدا فى ذلك الوقت هناك.. ولقد كانت فرصة طيبة اتسعت للحوار التفصيلى، ولتناول موضوع فجوة الإدارة فى العالم العربى وما يتعلق بها، كان له مردوده المهم فى تأمل ما يتعين علينا أن نقوم به وبأسلوب الأولويات.. ولكن تاريخ د.زويل مع مشروعه العلمى وسعيه لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر بالإضافة إلى تاريخ د.فاروق الباز، هذا العالم الجليل مع مشروعه العلمى وسعيه لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر.. ومشروع د.أحمد مستجير عالمنا الكبير وسعيه لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر.. وتاريخ عشرات، بل ومئات العلماء والباحثين عن تفعيل القاعدة العلمية.. كل هذه التجارب المعاشة تحتاج منا الإلمام الكافى بها وأن نضع الدروس المستفادة على مائدة وأولويات النقاش والتفاوض الجماعى.. فتفعيل القاعدة العلمية فى مصر بحاجة ماسة إلى منظور تفاوضى جماعى يخوض فيه كل عناصر المجتمع المصرى، وهذا ما سأتناوله فى سلسلة المقالات القادمة بإذن الله تعالى وهو سبحانه ولى التوفيق.

٢ - فاروق الباز .. والمنظور التفاوضى للقاعدة العلمية

رصدنا فى المقال السابق بعنوان «زويل والمنظور التفاوضى للقاعدة العلمية» العديد من النقاط المتعلقة بجهود زويل لإعادة تأسيس القاعدة العلمية التى تمثل قاطرة التنمية الحقيقية فى كل دول العالم المتقدم، على أسس تتناسب وإيقاع هذا العصر ومتطلباته الصارمة والشديدة والتنافسية، فى عالم لا يرحم المتقاعس المتجمد أو ما أسميه «بالمتسحلف» الذى يتحرك بإيقاع السلحفاة امام قطارات فائقة السرعة. وكما ذكرت، إننا لا ينبغى أن نترك الأمر لأحمد زويل فقط، وهو ذلك العالم الفذ الذى تعاملت البيروقراطية المصرية مع مشروعه العلمى الذى أراد تدشينه فى مصر، بنفس أسلوبها المعروف والمدمر، والذى جعل نحو ما يقرب من سبعمائة الف باحث وعالم مصرى يرحل إلى بقاع أرض العالم المتقدم فى أمريكا وأوربا.. وخلف خسائر مادية طائلة تحملتها مصر، وتقدر على الأقل بما يقرب من المائتى مليار جنيه.. الأجندة الرئيسية التى نتبناها ويتبناها كل المعنيين بالعلم ورد الاعتبار له فى واقعنا المصرى العربى، هى انه «لا يأس» ولابد من الإصرار على تدشين القاعدة العلمية التى بدونها فلا قاطرة حقيقية وقوية للتنمية التى نريدها بالمستوى اللائق لمصر.. من هنا وكما رصدنا جهود زويل من أجل استيعاب الدروس المستفادة، نرصد هنا جهود علماء كبار آخرين فى نفس الاتجاه، ونبدأ بعالمنا الكبير الدكتور فاروق الباز.. الذى يحمل نفس «الهم» الذى يحمله زويل، وكل منهما يريد لهذا الوطن المعطاء أن ينطلق الى الآفاق العلمية التى يستحقها.. ولقد التقيت بالدكتور فاروق الباز فى المغرب الشقيق فى فاعليات مؤتمر حشد عددا كبيرا من المثقفين والإعلاميين والعلماء والباحثين، وجاء بعنوان «العرب بين تغيير الثقافة وثقافة التغيير»...والذى أقامته مؤسسة الفكر العربى.... ويمكننى من خلال ذلك اللقاء، ومن خلال تجميع لخطاب د. فاروق الباز بخصوص أهمية تدشين القاعدة العلمية الكبيرة فى مصر، أن أرصد هنا تعبيرا محوريا مهمته البرنامج الثقافى العلمى الجديد 'NEW CULTURM SOFTWARE' ومتطلباته، حيث يذكر د. فاروق الباز أهمية إنشاء سلسلة من «مراكز التميز» أو «بؤر الإشعاع العلمى» ، حيث يقول إن الولايات المتحدة مثلا عندما أرادت أن تدشن اولى خطوات إنشاء البرنامج الثقافى العلمى الجديد.. قامت بإنشاء الناسا (NASA) (وكالة الفضاء الأمريكية) حيث كان الهدف الأساسى قبل اختراق الفضاء الخارجى والوصول إلى القمر وغيره.. هو رفع حالة المناخ الثقافى العلمى من خلالها، على اتساع أمريكا وعرضها، فوجود خلايا

للبحث تابعة لمثل هذه الوكالة للجامعات والمراكز المتعددة يعنى وجود علماء ينتشرون، على اتساع البلاد وعرضها، ويضخون علمهم لأكبر عدد من شباب العلماء، وتحظى هذه الخلايا بكل الاهتمام اللازم، فهى خلايا علمية عابرة لفجوات الإدارة والمعلومات وكل المشاكل الأخرى التقليدية.. واختيار «الفضاء» ليس ترفا هنا؛ لأن فى إطاره تندرج معظم طاقات العلوم المختلفة حيث يوجد شعار معروف الآن وهو «من لا يتواجد اليوم فى الفضاء فهو خارج السباق» ...

(Those who are out of the space are out the Race)

... نعم «فعلوم الفضاء» ليس كما يفهمها «مكتب التنسيق» عندنا فى واقعنا الثقافى.. بل هى حزمة علوم متعددة وكثيرة ومتكاملة، ومنها علم اللغويات الحديث (Linguistics) كأحد أهم علوم عصر العالم المتقدم، حيث أتذكر جيدا حينما كنا ندرس فى جامعة جورجتاون كورس من مادة مسماة «بالتجميمكس» وهى مادة علمية تتعلق بالسعر العلمى لفك شفرة أى لغة غير معروفة. أدركنا أن ذلك الموضوع من موضوعات حزمة العلوم التى تهتم بها وتدعمها الناسا (NASA)، حيث إن أمر التعرف على مخلوقات أخرى فى الفضاء أمر وارد، وأن الجهد العلمى لفك شفرة لغة غير معروفة له أهميته العلمية الكبيرة فى حالة وجود مفاجآت فضائية، أو حتى فى عدم وجودها «إلى الان».. فلهذا الأمر دلالات وأهمية قصوى فى فهم أعماق عمليات التواصل ونظم الإدراك الإنسانى على كوكب الأرض ذاته.... إذن يمكننا إدراك ما المقصود بخلايا مراكز التقدم التى ينبغى ألا تكون مجرد «قطعة أرض فى مدينة السادس من أكتوبر» حتى وإن بنى عليها مركز علمى متميز.. بل هى سلسلة من مراكز التميز، يتم تدشينها فى وقت واحد على الاتساع الجغرافى لمصر كلها... ولعل الناظر للهند مثلاً أن يتعرف كيف نهضت الهند على نفس هذا النحو.. والهند أقرب ما تكون إلى واقعنا الثقافى، فلقد بدأنا معا مسيرة استكملتها الهند ولم نستكملها... وأتذكر بداية هذه المسيرة من جملة طريفة تعرفت عليها من شخص يوغسلافى ودود فى إحدى السفريات، حيث كنت أسأل عن طريق، وكانت إنجليزيته ضعيفة، وكان شرحه كيف الطريق شاقًا، وعندما علم أننى مصرى.. وجدت بسمة كبيرة على وجهه، وقال مكرراً فى حماس بالغ :

«تيتو .. ناصر .. نهرو ...» وكررها عدة مرات. ندرك من هذه الجملة أننا بالفعل بدأنا مسيرة مشتركة مع الهند خاصة ... وكانت مسيرة سياسية قوية تمثلت فى القدرة على تشييد حركة عدم الانحياز .... وتأكد للهند منذ ذلك الوقت، أكثر منا، أن القاعدة العلمية القوية أهم؛ لأنها الأكثر دعما للنهوض الفعلى وتحقيق أشكال عديدة من مستويات الاستقلالية .. هى التى تضع هذه الدولة

وتلك على مربعات أفضل للقوة، مع فهم طبيعة التداخلات فى هذا العصر المتشابك..

أعود بعد تلك المداخلة لخطاب د. فاروق الباز.. الذى أشار لمحطة الهند بصورة عابرة حينما ذكر بنبرة حماسية ولكنها حزينة مستنكرة للأوضاع.. إن أول اتصال به من خارج الولايات المتحدة بعد صعود نجمه العلمى الكبير كان من الهنود.. حيث طلبوا منه الإسهام فى تفعيل البرنامج الفضائى الهندى... وأنه ومن خلال رحلته الطويلة ذكر فى برنامج مسجل بقناة الجزيرة عن مشواره العلمى «بأننا فى مصر اهتممنا بالشكل وليس بالمضمون الذى كان ينبغى أن نهتم به...» ولكن ورغم كل الإحباطات التى ولدتها وتولدها البيروقراطية المصرية الطاغية، والتى أطاحت بمشروع وجهود فاروق الباز كما أطاحت بجهود زويل... فإن كلا من العالمين الكبيرين لايزالان يصران فى كل مناسبة على استمرار المحاولة... ولكن أحيانا نجد فى كل من خطابيهما – كما فى خطاب علماء مصريين آخرين – نغمة مما أسميه «بالزهق من الجمود والتسحلف» وهى نغمة تلقائية وصادقة ومعبرة عن الواقع الذى تتسم به عملية تحريك أو تدشين فكرة القاعدة العلمية بالمستوى الذى يحلم به كل عالم مصرى يريد العزة لهذا الوطن الغالى... فسمات الإحساس «بالزهق وكراهة التسحلف» جاءت فى خطاب زويل عندما قال : «**أنا تعبت من أسلوب التكسير**» وحينما ذكر «**إننا اهتممنا ورصدنا كل الفلوس لمدينة الاعلام**».. وحينما جاء دور «مدينة العلم» التى يحلم بها... اكتفينا بإعطائه «حتة أرض جرداء وطلبنا منه بأسلوب «ورينا شطارتك وهات أنت العلماء والفلوس وكل الدوشة دى».. أما سمات الإحساس المبرر «بالزهق وكره التسحلف» فى خطاب فاروق الباز، فأرصدها من خلال ما قاله د. فاروق فى لقاء معه فى صباح أحد ايام سبتمبر عام ١٩٩٩، وسارعت بتدوينها حينما (طلعت) علينا مذيعة من مذيعات «الريادة الإعلامية» بسؤال يبدو أنه قد استفز عالمنا الكبير حيث قالت له: «امتى يا دكتور حترجع بقى ويرجع كل علمائنا فى الخارج ويقعدوا فى بلادهم وينموها؟... فقال د.فاروق : «**أرجوك سيبهم هناك... سيبهم.... يأخذون الخبرة.... لأن الخبرة هناك لى ولهم تحدث كل يوم.... كل يوم نحصل على خبرة جديدة**... وكفاية فى الظروف دى أن نعود للوطن فى إجازات ومؤتمرات ومحاضرات لإنارة اهل الوطن بالخبرة التى كسبناها ونكتسبها بشكل مستمر ... أرجوك سيبهم ..» ...» وللحديث بقية .

٣ - مستجير والمنظور التفاوضى

للقاعدة العلمية

.. تحدثنا فى المقالين «١» ، «٢» السابقين عن مفاهيم محورية فى خطاب كل من العالمين المصريين الكبيرين أحمد زويل وفاروق الباز بخصوص سعيهما المتكرر لتدشين القاعدة العلمية بالمستوى الذى يتيح لها أن تكون قاطرة التنمية الحقيقية، لتنتقل من خلالها مصر نقلة نوعية كبيرة تليق بتاريخ وعراقة هذا الوطن الغالى الذى لم تستغل به أو تفعل به كل طاقاته الكامنة، وخاصة طاقة علمائه أو ما أود أن أسميه «بالقوة البحثية العلمية المصرية» التى من المفترض أن تكون فى طليعة كل أشكال قوة الدولة.

ولقد تعرضت فى المقال السابق إلى ما أسميته «بنغمة الزهق من الجمود وكره أسلوب التسحلف القائم» فى كل من خطابى زويل والباز.. والكشف عن هذه السمات فى خطاب العلماء يعبر عما ينبغى لنا أن نعيه من دروس لتخطى ذلك الواقع الذى تجسده مقولات العلماء المبررة دائما بعرض واضح وصريح عن طبيعة المشاكل وكونية حلها.. ونركز هنا على استقصاء ورصد هذه السمات؛ لأنه مفتاح الأجندة التفاوضية التى يتبناها العلماء ويناشدون من أجلها المجتمع المصرى ويوجهون الكلام لكل قطاعاته لاستنهاض طاقاته لعبور الفجوات القائمة بوعى متكامل الأبعاد وبحركة مجتمعية يقودها علماء هذا الوطن، والتى اقترحت فى مقالى بتاريخ ٩/٢٢ أن أسميها من باب الطرافة الجادة «بحركة علمائكم من أجل التنوير» أو «من أجل التغيير» فى مجال ما أسميه كذلك «بالإصلاح العلمى» على غرار «الإصلاح الاقتصادى».. فى هذا السياق أنتقل فى هذا المقال لتجربة أخرى لعالم مصرى كبير وهو د.أحمد مستجير، وهنا ننتقل من «علماء الخارج» إلى «علماء الداخل» والمقصود هنا تحديداً، هو هذه النوعية من العلماء الكبار من المعروفين على المستوى الدولى، ولكن ممن قرروا التفاعل فقط من على أرض مصر أساساً.. حيث إن هذا هو المجال الأول والأخير لهم.. ولاشك أن هذا القطاع من علماء مصر هم الأقدر – من المفترض – على قيادة التغيير والإصلاح العلمى وإصلاح الجامعات وتدشين القاعدة العلمية، وهم الاجدر بتوجيه الاهتمام بمطالبهم. ومن المفترض أن يتوجهوا لقطاعات المجتمع المصرى بخطاب جديد قادر على استنهاض طاقات هذا المجتمع نحو العلم وريادته فى جميع التخصصات.. من هنا أسجل تحفظى على أسلوب البعض فى واقعنا الثقافى، ممن تناولوا ما سمى «بظاهرة أحمد زويل».. فمع كل التقدير والاحترام وعميق الافتخار بإنجازات عالمنا الفذ أحمد زويل، وجدت نمطاً أتحفظ عليه

بل أرفضه ويرفضه كل من يريد التغيير والإصلاح العلمى على مستوى المجتمع كله.. وهو خطاب «الوحيد الأوحد».. و«المنقذ من كل الظلمات».. فكفانا أسلوب «الشخص الواحد» وهذا لايعنى أننا لانحتاج إلى شخصيات كبرى تستنهض هذا الواقع وتقوده إلى الأفضل، ولكن أن يتم النظر إلى «القائد» و «القائد الفذ أو التحويلى» حسب تعبيرات أدبيات القيادة على مستوى العالم من خلال منظومة تفاعلية متكاملة. وما أنتقده بخصوص بعض الكتابات عن ظاهرة زويل، هو ما عبر عنه زويل نفسه بقوله إن الفضل فى حصوله على جائزة نوبل يعود إلى فريق عمل كبير.. كان له أكبر التحية والعرفان من زويل فى أول ما صرح به عقب حصوله على الجائزة.. أعود هنا إذن لفكر الجماعة وفكر الانتماء للجماعة وفكر تفعيل طاقة الجماعة العلمية.. داخل الوطن وبالامكانيات المتاحة.. وهنا اعود لمسيرة عالمنا الكبير أحمد مستجير الذى يعرف قيمته الكبرى كل من تفاعل معه عن قرب، وخاصة فيما يتعلق بجماعته العلمية الفكرية.. أى جموع الباحثين الذين تتلمذوا على يديه ونهلوا من عطائه العلمى الكبير فى مجال الهندسة الوراثية. ولكن أعود هنا كى أرصد ملامح من خطاب أحمد مستجير بخصوص جهود وآراء العلماء فيما يتعلق بمحاولات تشييد القاعدة العلمية، وأرصد هنا نفس ملامح سمات «الزهق من الجمود وكره التسحلف القائم» : ففى حوار للصحفى عزازى على عزازى مع عالمنا الكبير يذكر إن الوزراء القدامى جداً والجدد أيضاً يتبارون اليوم فى استخدام مفردات الخطاب العلمى المستقبلى، سواء فى الوزارات المعنية بالتطور التقنى أو المستفيدة منه.. حتى كاد الأمر يتحول إلى فوضى استهلاكية لشعار العلم والتكنولوجيا .. فالمسئولون متفائلون كعادتهم، أما أهل الخبرة والاختصاص من العلماء فهم متشائمون؛ لأنهم يعرفون الفرق بين الشعار والتطبيق.. وذكر عزازى إن د.أحمد مستجير، هذا العالم الفاضل الذى يعرفه علماء ومثقفو مصر، وهو من علماء الهندسة الوراثية المرموقين.. ذكر إن ميزانية البحث العلمى بحاجة إلى إعادة النظر.. وإن شلال العالم الكبير قد انهمر وإنه لم يقاطعه عندما سأل عن «روشتة العلاج» لهذا الوضع.. فذكر أهمية تأسيس قاعدة علمية حقيقية، وعندما سأله عن برنامجه ومطالبه كأحد علماء مصر الكبار أجاب قائلا.

(١) إعادة تنظيم الأكاديمية والبحث العلمى فى مصر على أسس متكاملة.

(٢) تهيئة مناخ الثقافة العلمية والبحث وبشكل سريع.

(٣) الاستثمار فى العلم، لأن عائده مئات الأضعاف عن الاستثمار فى أى شىء آخر.

(٤) دعم الأستاذ الجامعى.

(٥) التحول من «الأقدام» إلى «الرؤوس». لقد أضاف د.مستجير هذه المقولة إلى قائمة أجندته الإصلاحية كعالم يريد أن ينهض بالواقع الثقافى حين قال «هل أدفع للعلماء الكبار كى نحصل منهم على الخبرة كما تفعل الشركات عابرة القوميات لكى يساهموا فى النهضة العلمية؟ أم أدفع مئات الملايين من الدولارات على مدربى كرة القدم كما هو الحادث مع كل الأسف!! ويضيف قائلا: كرهت الكرة ولاعبيها.. وأيقنت أن دخول عصر العلم والتكنولوجيا يلزم الخروج من «عصر الكرة» أو الانتقال من الأقدام إلى الرؤوس. ونعلق فنقول إنه لابد لنا ونحن بصدد إدارة أجندة جماعية للتفاوض المجتمعى حول كيفية تفعيل القاعدة العلمية ورد الاعتبار للعلم والعلماء فى واقعنا الثقافى.. أن نتوقف طويلاً أمام ما قاله عالمنا الكبير د.أحمد مستجير.. فما قاله أصبح موضع احتجاج مجتمعى شديد ومبرر، خاصة فى أوساط علماء مصر.. فالحديث شبه اليومى عن هذا اللاعب أو ذاك ومرتبات بالملايين.. فهناك من لاعبى الكرة الكثيرون الذين «يتعاطون» فى مصر مبلغ المليون جنيه فى العام.. هذا أصبح خبراً عادياً.. هذا غير المدربين.. فأقل المدربين شأناً وتواضعاً يحصل شهرياً على أضعاف مضاعفة مما يحصل عليه أستاذ الجامعة، أو أكبر علماء الواقع المصرى الذى ينبغى تغييره إلى ميزان العدل الإجتماعى، فليست هذه الطائفة فقط من المتعاطين للملايين، بل هناك طوائف أخرى فى المجتمع تتحدث بنفس الأرقام محدثة فجوة عميقة.. حتى إن جوائز البحث العلمى المحدودة عددياً ومادياً لاتقارن نهائيا ببرامج «من سيربح المليون» و «معنا صوتك» وما إلى ذلك. وللحديث بقية.

٤ - خطاب «الفجوة الرقمية» و«القاعدة العلمية»

استكمالاً لمجموعة المقالات السابقة، التى نهدف من خلالها إلى استكشاف جوانب منظور التفاوض الجماعى المطلوب لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر من خلال الاستقراء الدقيق للخريطة الذهبية لما يتصوره ويريده خيرة علماء مصر، أطرح هنا آراء على درجة كبيرة من الأهمية للصديق العزيز وعالمنا الكبير د. نبيل على، وهى آراء مكتوبة - على رأى أديبنا الكبير يوسف القعيد - «بحبر القلب» - حيث إنها آراء مبنية على خبرة أبحاث جسورة قدمها د. نبيل للمكتبة العربية، وكان آخرها بعنوان «الفجوة الرقمية : رؤية عربية لمجتمع المعرفة» حيث شاركه ذلك العمل أ.د. نادية حجازى- «عالم المعرفة، أغسطس ٢٠٠٥»، والذى قصده كل من الكاتبين بالفجوة الرقمية، هو توضيح حجم الهوة الفاصلة بين الدول المتقدمة والدول النامية فى النفاذ إلى مصادر المعلومات والمعرفة، والقدرة على استغلالها لأغراض التنمية المجتمعية بمعناها الشامل على جميع الأصعدة المختلفة.

إن أهم ما يلفت انتباهنا فى هذا العمل العلمى الجاد - بخصوص ما نقصده بتفعيل القاعدة العلمية - هو أن يكون الحديث عنها على كونها كيانا ديناميكيا مترابطا يدخل إلى أعماق بنية مجتمعنا المصرى والعربى، لينتشله من الجمود واللامنهجية والجزر المنعزلة ليعظم من الطاقات المبددة والمهدرة إلى الآن لتنتقل إلى آفاق تلحقنا بركب قطار التنمية العالمى السريع.

ولذلك فإن أهم ما يلفت انتباهنا ونتوقف عنده فى سياقنا هذا هو تبنى الكاتبين إقامة تكتل عربى يتعذر من دون تأهل البلدان العربية، مجتمعة أو متفردة، لدخول مجتمع المعلومات، ومن هنا يقترحان «المدخل المعلوماتى» لتحقيق هذا التكتل كبديل للمدخل الاقتصادى أو الأمنى، اللذين نادى بهما البعض فى الماضى، وكنقطة بداية مشروع الإصلاح العربى الذى لابد أن يكون متكاملا ومتعاونًا .

ولتوضيح معنى الفجوة القائمة، فلا بأس أن تتم المقارنة مع ما نسميه بالتحدى الإسرائيلى لإدراك ما ينبغى علينا القيام به ففى «ص ٧٠» يرصد الكاتبان الفجوة فيما يلى:

١- نسبة استخدام الإنترنت لعدد السكان فى إسرائيل ١٦٪ حالياً، فى حين تقل هذه النسبة عن ٣٪ فى المتوسط العربى.

٢- عدد المالكين للكمبيوتر يبلغ فى إسرائيل ما يقرب من ٤٧ فى كل مائة فرد فى حين يبلغ هذا العدد ٤ لكل مائة فى عالمنا العربى.

٣- تحتل إسرائيل المركز رقم ١٢ فى مؤشر الجاهزية الشبكية، فى حين تحتل أعلى الدول العربية، وهى تونس، المركز رقم ٣٤، تتلوها المغرب فى المركز رقم ٥٢، فالأردن فى المركز رقم ٥٧ ، فمصر فى المركز ٦٥ .

٤- فيما يخص العنصر البشرى ذا الأهمية القصوى فى اقتصاد المعرفة، يكفينا الإشارة إلى أن الناتج المحلى الإجمالى للفرد فى إسرائيل يفوق نظيره فى البلدان العربية مجتمعة، والسعة فى ازدياد مستمر إلى الآن.

٥- فيما يخص النشر العلمى، يبلغ ١١,٧ بحث منشور لكل عشرة آلاف فى إسرائيل، بينما يبلغ هذا المعدل «ثلثه» بحث لكل عشرة آلاف فى العالم العربى.

٦- يبلغ عدد الكتب المترجمة إلى العبرية «سنوياً» مائة كتاب لكل مليون إسرائيلى، فى حين يبلغ عددها بالنسبة للعالم العربى ٣ كتب تقريباً لكل مليون عربى.

ويضيف الكاتبان أن «الأخطر من هذه المؤشرات الكمية، هو المعايير النوعية وتقييم القدرات الكامنة لمؤسسات العلم والتكنولوجيا والمعلوماتية الإسرائيلية التى أصبحت كالأخطبوط المعلوماتى، ففى «ص ٧٨» يذهب الكاتبان إلى القول بأن إسرائيل قد أدركت منذ زمن بعيد أهمية المعلومات كمورد رئيسى للتنمية، حيث كان إنشاء أول مصانع الأسلحة قبل إعلان الدولة الصهيونية فى كنف حركة الهاجانة الإرهابية فى عام ١٩٣٣ فى إطار توجه مستقبلى من العسكرى إلى المدنى والعكس، وقد وصل اليوم إلى الآتى:

(أ) الحصول على حق النفاذ إلى المعلومات العلمية والتكنولوجية لدول كبرى ومن أمثلة ذلك:

* حق النفاذ إلى الشبكة القومية الأمريكية للمعلومات العلمية والتكنولوجية NATIS .

* حق النفاذ إلى مؤسسات البحث الأمريكية الحساسة.

* السماح لإسرائيل بالمشاركة كمراقب فى أعمال لجان البحث والتطوير للاتحاد الأوربى .

* اتفاقية تفاهم مع روسيا تعطيها حق النفاذ إلى جميع الأسرار العلمية والتكنولوجية الروسية المدنية والعسكرية.

* دعوة العلماء البارزين لإلقاء محاضرات وعقد ندوات علمية فى إسرائيل منهم على سبيل المثال - أبو القنبلة الذرية الهيدروجينية وباقة من العلماء فى جميع التخصصات، ومن بينهم العالم المصرى أحمد زويل.

النقطة الواضحة هنا أن القاعدة العلمية لا يمكن أن تكون مجموعة من التوصيات، أو كما صرح أحد المسئولين التركيز على علوم بعينها .. أو كما صرح آخر بأهمية تدبير التمويل للبحث العلمى .. الأمر بالطبع يحتاج إلى نظرة إستراتيجية ومنظومة من التحركات المتكاملة تبدأ من الإنسان والاستثمار فى مواردنا البشرية لتكون القاعدة العلمية هى حركة مجتمعية على جميع المستويات التى تمكننا من إدراك واقعنا واستنهاضه للآفاق المطلوبة، ونحن نملك طاقة الحركة ونحتاج إلى الروح النضالية، مع الأخذ بأسباب عبور الفجوات الرقمية وغيرها.. والله ولى التوفيق وهو وحده المستعان . وللحديث بقية .

opeikandl.com

٥ - «القاعدة العلمية»

بين «غيبوبة الماضى» و «ثقافة المستقبل»:

كيف يرى أحمد شوقى زوايا الملف؟

يمكننا رصد عشرات الأمثلة لتفاعلات تجرى فى وطننا العربى على اتساعه تعبر عن فكر «غيبوبة الماضى».. وهو ذلك الفكر الذى يتجسد فى قوانين ولوائح وطغيان أعراف خاطئة وبالية تم ترسيخها بأسلوب تسلطى تلقائى فى واقعنا الثقافى.. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن قوانين إدارة الامتحانات فى جامعاتنا أو ما يسمى «بالكنترول» وُضعت ولم تتطور منذ أيام المندوب السامى البريطانى.. وهو أمر صارم يمثل حالة تفاعلية لا يمكن السكوت عليها، وسوف نتناول هذا الأمر فى سياق تفصيلى قادم فى نهاية هذه السلسلة من المقالات عن عوائق تشييد ثقافة القاعدة العلمية المطلوب أن تنتقل مصر من خلالها إلى آفاق تستحقها.

كما يتجسد «فكر غيبوبة الماضى» فى ملامح أخرى عديدة، تمثل النقيض «لثقافة المستقبل».. وكما نرصد السلبيات لمواجهتها وتجاوزها نرصد كذلك الإيجابيات.. فمعظم علماء مصر وخبرائها وباحثيها لا يقفون مكتوفى الأيدى.. بل يسعون بقدر طاقاتهم الممكنة لكسر أطر الأعراف البالية، للانطلاق إلى آفاق «ثقافة المستقبل» ومحاولة الوقوف على مربعاتها المستنيرة، من أجل السعى الإيجابى لملاحقة ما يحدث من تطورات غير مسبوقة وذات إيقاع لا يجدى معه «تسحلف» فكر «غيبوبة الماضى».. ومن هذه الجهود المثابرة والمتفانية التى تبعث على الكثير من الأمل والثقة التى نحن فى أمسّ الحاجة إلى بثها فى ظل أوضاعنا الراهنة فى هذا السياق، نرصد هنا الجهد الدؤوب والمتميز على مدى سنوات طويلة لعالم الوراثة المرموق أ.د. أحمد شوقى، الذى فتح بوابة مهمة للمستقبل فى مصر باشرافه وتشجيعه الكبير لخيرة الباحثين والعلماء المصريين للإسهام العلمى فى مشروعات لكراسات مستقبلية وعلمية تأخذ شكل الاستمرارية لاستشراف المستقبل وربطه بتحليل الواقع والسعى لاستنهاضه وربطه بعملية صناعة القرارات المصيرية فى جميع أعمال التنمية، ويشاركه فى تفعيل هذا المشروع الكبير الذى صدر عنه ما يزيد على المائة والعشرين عملا، الناشر المتحمس والأستاذ الفاضل أحمد أمين، ولعل من المهم أن نعود ومن خلال مثل هذه الأعمال للتركيز على المنظور التفاوضى لتدشين القاعدة العلمية ورصد أوجه الخلل القائمة لتعميق الشعور بأهمية تجاوزها.. وهنا نستكمل بعض الرؤى المهمة للدكتور نبيل على، والتى بدأنا فى رصدها من خلال

كتابه المهم عن «الفجوة الرقمية» فى المقال السابق (الأخبار ٢٠٠٥/١١/٣)، ولكن نرصد آراء له هذه المرة من خلال ما ورد فى إحدى الكراسات العلمية التى يقدم لها الدكتور أحمد شوقى - حيث يشاركه الرأى فيما ذهب إليه - والتى جاءت بعنوان «تكنولوجيا المعلومات وتطور العلم (المكتبة الأكاديمية ٢٠٠٥).. يحدد د. نبيل فى ص٤٤ أسباب تخلف القاعدة العلمية فيما يلى من نقاط:

١ - وجود سياسات علمية تفتقد الواقعية، والخطط الإجرائية، كما تفتقد مؤشرات قياس مدى التقدم فى تنفيذها.

٢ - تدنى أداء مؤسسات التعليم الرسمية.

٣ - ضعف الموارد الحكومية المخصصة للإنتاج العلمى، وعزوف القطاع الخاص عن الاستثمار فى مجالاته.

٤ - غياب التراكم المعرفى، وضعف الحوار بين الفصائل الفكرية المختلفة.

٥ - وجود بحوث أكاديمية دون منتجات استثمارية.

٦ - ترقيات أكاديمية دون ارتقاء علمى.. وأتذكر هنا ما ذكره عالمنا الكبير د. أحمد زويل بأن الترقية فى جامعات التقدم لايشترط فيها «عدد البحوث» كما هو عندنا، ولكن الشرط والمعيار هو «النوعية» والأثر الذى يحققه بحث بعينه وليس بالعدد، كما أتذكر هنا سؤالا استعجابيا استهجانيا على رسالة دكتوراة من أحد الأساتذة، لأن عدد صفحاتها كان فى حدود «مائة وخمسين صفحة فقط»!! فى حين أن أطروحة بعض كبار العلماء فى الخارج كانت أقل من ذلك بكثير.. ولم يرد أصلا سؤال عدد الصفحات ليكون أول سؤال اهتم به ذلك الأستاذ!! ولكنها هيمنة ثقافة الكم المهيمنة مع الأسف.. وليس الكيف.. نعود إلى نقاط د. نبيل، الذى يذكر فى نقطته السابقة وجود نشر علمى ضامر لايرى معظم النور إلا من خلال المنافذ المحلية، تهرباً من غربلة الترشيح العلمى لمنافذ النشر الأجنبية.

٧ - وجود إبداع عربى مكبل، برغم تميزه، يواجه العقبات فى توصيله جماهيريا وتداوله عربيا.

٨ - وجود حصاد من بحوث الدراسات العليا مكدس على الرفوف يلتقط الأتربة، وما أكثر ما فيها من نقل وتكرار وتشبه بالعلم وتزييفه أحيانا.

٩ - غيبة المشاريع البحثية المشتركة بين البلدان العربية، وعزوف شبه تام عن المشاركة فى الموارد، سواء على المستوى البشرى أو المادى أو المعلوماتى.

١٠- حصيلة ضخمة من اللقاءات العلمية تشكو من الخواء الفكرى، وعجلة الإعداد، ونقص الحضور، وغزارة التوصيات دون متابعة جادة وناجع فعلى ملموس.

١١- وجود فجوة متسعة بين نتاج التعليم وسوق العمل، وكم تعليمى بلا كيف، وتلقين دون تحصيل، يؤكد ذلك تراجع مواقع البلدان العربية إزاء بلدان المقارنة عند الأخذ فى الاعتبار الناتج التعليمى.

١٢- هجرة متنامية للعقول العربية فى المجالات العلمية المختلفة، وتقطع الجسور بين العقول المهاجرة، والعقول الباقية بأرض الوطن.. عند هذه النقطة نتوقف لنعود ونرصد من مصادر أخرى من القاعدة الكبيرة لعلمائنا من الداخل والخارج موضوع كيفية ربط قاعدة علمائنا بالداخل بقواعد علمائنا بالخارج من خلال خطاب شبكى تواصلى فعال.. فهذا الربط هو قصة نجاح الصين وماليزيا والهند.. وهذا ما ينبغى أن يكون لمصر، كذلك ما سنتناوله فى مقالنا القادم بإذن الله تعالى، والله ولى التوفيق.

وللحديث بقية

obeikandl.com

٦ - منظومة رمضان أكتوبر ٧٣

والمنظور التفاوضى للقاعدة العلمية «٤»

تعرضنا فى المقالات السابقة لآراء علمائنا الكبار من أمثال أحمد زويل، وفاروق الباز، واحمد مستجير كمجرد مدخل تحليلى لهذه الآراء بخصوص شكل القاعدة العلمية التى ينبغى تفعيلها لتكون قاطرة التنمية الرئيسية التى تنقل مصرنا الغالية إلى آفاق التقدم التى تستحقها منا.. وكذلك تعرضنا لأهم العوائق المتمثلة فى البيروقراطية وفجوة الإدارة وضعف الفكر التسويقى على مستوياته المتعددة.. وإذ كان ما ذكرناه هو تقييم العلماء لواقع ثقافى نريد استنهاضه واستنهاض كل همم المعنيين به والتغلب على السلبيات القائمة التى لاشك أنها لاتزال الحائل الكبير والفعلى لتفعيل القاعدة العلمية فى مصر.. فكثير من الآراء التى ذكرتها فى المقالات السابقة وأكثر منها بكثير من خلال تفاعلات أخرى لم ترد بتلك المقالات، تخلص إلى مفردات خطاب اليأس والإحباط المبرر على غرار «سيبوا علماءنا اللى فى الخارج فى حالهم..!» أو «انا تعبت من جو التكسير».. أو «مفيش فايدة فى البيروقراطية.. أنت مش بتقول إنها شتتت أكثر من سبعمائة وخمسين ألفا من الباحثين والعلماء المصريين إلى خارج الوطن ليقوموا بأهم أعمال التنمية فى الدول المتقدمة.. طب عايز إيه أكتر من كده؟! مفيش فايدة..!!». إلى آخر كل تلك الحوارات التى تبدأ بمقولات اليأس من الإصلاح العلمى والجامعى، والإنتهاء إلى الجمود ومحلك سر أو فعلاً «للخلف در»...

نريد ونحن فى هذا الشهر الفضيل، والذى يتزامن فيه رمضان بأكتوبر، أن نتوقف لحظة امام ما أسميه بمنظومة حرب رمضان أكتوبر ١٩٧٣، لنستنهض الهمم ونستأنف العمل الشاق الذى لا يعرف اليأس، والنظر إلى منظومة أكتوبر رمضان من زاوية السمات التفاعلية الإيجابية للتعامل مع أصعب الظروف من خلال الآخذ بالاسباب، والانطلاق من القواعد المقصدية للدين وللأمة، وكذلك لنستقى دروسا تتعلق بجهدنا لفهم وتعظيم المنظور التفاوضى لتفعيل القاعدة العلمية نحو الآفاق المنشودة. فما هى سمات التفاعل التى دشنتها منظومة رمضان أكتوبر؟ لقد تمثلت هذه المنظومة فيما يلى :

١ - إن منظومة رمضان أكتوبر ١٩٧٣ لم تكن فقط مجرد ما يقرب من حوالى ٧٣ معركة، كما يقول ذلك المشير الراحل عبدالغنى الجمسى فى البر والبحر والجو.. هذا من المنظور العسكرى الذى حققت من خلاله قواتنا الباسلة أعظم انتصاراتنا الحديثة.. ولكننى أرى فى هذه المنظومة منظومة تنتمى لكل المصريين بكل

قطاعاتهم.. وهى تمثل جوهر ثقافة التفاوض الجماعى البناء، وهى شاهد أننا – وعندما تتوفر لدينا إرادة التحدى ويتم حشد الطاقات على مستوى المجتمع كله.. ويكون العلم والقاعدة العلمية محور الاهتمام المستوجب، يكون النصر حليفنا بإذن الله. ولعلى أسترجع هنا مقولة لها طرافتها فى الاستعداد للحرب قالها الرئيس السادات «أنا لن أضحى بأبنائى فى معركة غير متكافئة.. أنا حاضع «الإليكترونة» فى يد كل مقاتل ثم اقول له.. حارب بالعلم والإيمان.. و «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا..» وبالفعل حدث ما قاله القائد ونفذه كل من شارك فى منظومة رمضان أكتوبر.. ولقد كشفت الوثائق القليلة التى أفرج عنها عن حرب أكتوبر رمضان بأن القوات المصرية والسورية قد فاجأت العدو بالمستوى التقنى المرتفع.. ولقد كانت معارك الإعاقة الاليكترونية وإعاقة الإعاقة الإليكترونية أحد المحاور الرئيسية فى معارك رمضان اكتوبر.. مع كثير من سمات أول حرب إليكترونية فى التاريخ الحديث.

وأتذكر أن أحد أهم عناصر الإعداد لهذه الملحمة المصرية الخالدة، هى وجود اكثر من نصف مليون مقاتل من حملة المؤهلات العليا فى جميع التخصصات.. أى ممثلى القاعدة العلمية هنا، حيث يتم إصدار الأوامر إليهم للانتقام لهزيمة ١٩٦٧، ورد الاعتبار لهذا الوطن الغالى، فساهموا أكبر الإسهام فى تغيير اللغة من لغة الاستجداء للانسحاب إلى إجبار العدو عليه من أرضنا الطاهرة، فمكنوا بذلك القائد الأعلى الرئيس السادات فى ذلك الوقت من أن يقول : «لقد أفقدنا العدو توازنه فى ست ساعات» ذلك بعد ان ملأت إسرائيل الدنيا بنغمة «حرب الأيام الستة..» فكان ذلك هو ردنا.. وقال كذلك : «إن حرب أكتوبر رمضان ١٩٧٣ هى آخر الحروب..» وعندما قال ذلك السادات هاجمه مهاجموه على طول الخط بأنه يصادر على المستقبل مع عدو شرس لا يتورع عن شن حرب جديدة ضدنا.. ولكن المشير الجمسى (رحمه الله) قد أنصف الرئيس السادات (رحمه الله) بقوله فى كتابه عن حرب اكتوبر، بأن مقولة السادات «حرب أكتوبر هى آخر الحروب..» كانت فى الأساس رداً على مقولة موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى حين ذاك.. الذى قال «إن حرب يونيو .. ١٩٦٧ هى اخر الحروب مع العرب !!» .

إن الحديث عن كيف ساهمت منظومة أكتوبر فى تدشين قاعدة علمية متميزة فى حينها، لم يتطرق له الدارسون بالقدر الكافى إلى الآن.. فعلى سبيل مجرد الأمثلة لا الحصر.. كتبت رسالة دكتوراة ونوقشت عن تأثير الرياح على المعابر المائية.. وكانت نتائجها جاهزة، وغيرها عند عبور أصعب مانع مائى فى تاريخ العمليات العسكرية فى أكتوبر رمضان ١٩٧٣

ربما يمكن ..

استثمار البحث العلمى الجارى

أتابع بكل التقدير سلسلة المقالات التى ينشرها الأستاذ الدكتور حسن محمد وجيه كل خميس بالأخبار، حول تفعيل القاعدة العلمية، والتى أورد فيها آراء بعض علمائنا البارزين من الدكاترة : فاروق الباز، وأحمد زويل، وأحمد مستجير، ونبيل على وأحمد شوقى.. فضلا عن سلسلة مقالات الزميل محمود عارف عن البحث العلمى فى الجامعات، وكلها تصب فى تمتين وتحسين البنية الأساسية للمجتمع العلمى، وإنتاجه الضرورى ضرورة مطلقة لتطوير حياتنا، وتحديث وتعظيم إنتاجنا فى جميع المجالات، للحاق بركب التقدم الإنسانى.

وإن كنت سأجتزئ من هذا السياق الرئيسى تفريعة ذات طابع عملى تهتم بما هو عاجل ..

* * *

فعلماؤنا وباحثونا ينتجون يوميا تقريبا أبحاثاً ودراسات، سواء في رسائل الماجستير والدكتوراة، أو أبحاث الترقية أو تقارير تقدم في المراكز البحثية، أو حتى التنفيذية، والكثير من هذا الإنتاج العلمي الجاري، يكون ذا نتائج تطبيقية : اختراع شيء جديد، أو تطوير شيء موجود. تحسين إنتاج معين كمياً أو نوعياً، تجنب فاقد في إنتاج أو نشاط معين، أو تحويل هذا الفاقد إلى شيء نافع، حل مشكلة من أي نوع ..

هذا الإنتاج العلمي لا يجد حتى الآن السبيل إلى الاستفادة منه أو من يهتم به أصلاً، ويصبح أمره رهناً بمجهود صاحبه الشخصى، يدور به هنا وهناك دون أن تسانده أي جهة، بما في ذلك الجهة التي ينتمي إليها، وإذا تصادف أن وصل ببحثه إلى أحد الصحفيين أمثالنا، وتحمسنا له ونشرنا عنه، فإن أحداً لا يسأل عنه ولا عنا. وينكفئ الباحث الذي كان يملؤه الحماس على نفسه، ويصبح جهده وجهد من تحمس له مفقوداً !.

وهكذا ضاعت ولا تزال تضيع على الوطن مئات، بل آلاف الفرص لحل مشاكل نشكو منها كل يوم، بينما علماؤنا وخبراؤنا لديهم الحلول لها .. لكن لا أحد يستمع إليهم .

والسبب الرئيسي لهذه الوضعية الشاذة، هو عدم شيوع المنهج العلمى، والافتقار إلى تقدير العلماء من الأجهزة التنفيذية، حتى لو كان على رأسها حملة دكتوراة جاءوا من الجامعات ومراكز البحوث !

السبب الثاني، وهو نتيجة للسبب الأول، أنه لا توجد لدينا حتى الآن، ورغم كل الكلام عن العلم والتكنولوجيا والحكومة الإلكترونية وما إلى ذلك من شعارات، أي آلية لاستثمار وتوظيف نتائج أبحاثنا العلمية، خاصة التطبيقية منها.

* * *

لذلك، فربما يكون من المناسب، بل الضروري، إنشاء جهاز علمي يتبع رئاسة مجلس الوزراء لكي يكون وثيق الصلة بقمة الجهاز التنفيذي، وليكن هذا الجهاز «المستقل» قائماً بذاته، أو فى اتصال مع مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار .

وتكون مهمة هذا الجهاز متابعة الأبحاث والدراسات ذات الطابع التطبيقي، ومركزتها، وتوصيلها إلى الجهات التي يمكن أن تستفيد منها، وربط الباحثين بهذه الجهات، ثم متابعة ما يتم بشأنها بصورة جديدة، بما في ذلك مساءلة هذه الجهات في حالة الإهمال أو التقاعس أو عدم الرد بكلام علمي محدد .

إن ذلك يمكن أن يكون رافعة تربط العلم بالمجتمع والإنتاج .. حتى يسود التفكير العلمي ويقتنع المسئولون في بلدنا بأهمية علمائنا. وكفانا إهمالاً للعلم، وعشوائية في السلوك والعمل .

هل يسمعني الدكتور أحمد نظيف رئيس مجلس الوزراء، والدكتور عمرو عزت سلامة وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي ؟ .. أرجو وربما يمكن ..